وفاة نبوليون ووصيته

سجلات مطوية عن ايام نبوليون الأخيرة في جزيرة القديسة حيلانة

نقلاً عن سجلات اسرة هابسبرج

(١٦) بعد وفاة نبوليون

وقفنا في الفصل السابق عند حد وفاة نبوليون ودفنه وانتشار الاشاعة الخاصة بوصيته وكان أشد الناس اهتماماً بتلك الوصية البرنس مترنيخ كبير وزراء النمسا في ذلك العهد وقد اشتهر بكرهه لنبوليون وبسعيه لتقويض أركان امبراطوريته. وقد يخيل الى القارىء لأول وهلة ان وفاة نبوليون كانت ختام تلك الرواية المحزنة وان الستار أسدل بعدها على ذكرى ذلك الجبار . وفي الواقع ان دول أوربا كلها زعمت ان موت نبوليون قد أراحها من الكابوس الذي أقضّ مضجعها نحو ربع قرن ولكن الحقيقة ان رجال السياسة في أوربا ظلوا ردحاً من الزمن وشبح نبوليون يتمثل لهم أينما ساروا وكيفما توجهوا

ونؤخذ من سجلات آل هابسبرج ومن الرسائل التي بعث بها المركيز دي مولنشو الى البرنس مترنيخ بعد وفاة نبوليون أن السر هدسن لو (حاكم جزيرة القديسة حيلانة) ما كاد يسمع أن أسيره قد قضى نحبه حتى أسرع الى لونجوود وأخذ يفحص ما تركهُ من الآثار والأمتعة . وكان بين آثار نبوليون السيف الذي تقلدهُ في معركة « اوسترليتز » وصندوق ثيابه [illegible] الذي كان [illegible] الذي أهداهُ اليه البابا على أثر صلح تولنتينو [illegible]

وليس هذا مجال الاسهاب في الكلام على تلك الآثار وانما نقول انهُ ما كادت رواية نبوليون تختم بوفاته في جزيرة القديسة حيلانة حتى بدأت المخاوف تساور رجال السياسة في أوربا كلها

ولا حاجة بنا الى القول ان أهم أبطال الفصل الجديد من تلك الرواية كانوا أرملة نبوليون (الامبراطورة ماري لويز) وابنها الملقب بالنسر (الدوق دي رشتاد) والبرنس مترنيخ . وقد كانت جلُّ أمانيّ نبوليون في أيامه الأخيرة أن يرث ابنهُ عرش فرنسا من بعده . وكان عمر « النسر » عند وفاة والده عشرة أعوام . وقد عهد في تربيته الى الامبراطورة زوجته لما كان يعهدهُ فيها من المقدرة والجدارة ولما كان لها من المقام السامي إذ كانت ابنة الامبراطور فرنسوى الثاني اقوى ملوك اوربا في ذلك العهد ومن اعظم الذين

سموا الى تغيير خارطة اوربا بعد معركة واترلو

ومع ان نبوليون توفي فقد ظلت بقاياه في حيازة الحكومة الانجليزية التي أبت ان تسلمها حتى الى فرنسا . وأقيم حول القبر جنود لحراسة بقايا الميت الذي بلغ من احتقار السر «هدسن لو» له انه لم يأذن في كتابة اسم نبوليون على القبر . على ان اسم هذا الرجل كان يرعب اوربا كلها حتى بعد وفاته . وزاد في قلق اوربا ان عرش البوربون لم يكن موطداً وكان لا يزال لنبوليون حزب نهوب الجانب ليس في فرنسا فقط بل وخارج فرنسا ايضاً . ومن ثمة كانت اوربا تخشى نبوليون في مماته بقدر ما كانت تخشاه في حياته

وكان البرنس مترنيخ لا يزال ينسج الدسائس ويستفز الدول لنقضه على انصار نبوليون وقطع دابرهم . وكانت آمال الحزب البونابرتي معقودة على «النسر» الصغير وعلى رغبته في الجلوس على عرش ابيه . على ان «النسر الصغير» كان لا يزال مخفوض الجناح وامره بيد امه وبيد البرنس مترنيخ كبير دهاة النمسا في ذلك العهد

(١٧) أموال نبوليون

ولنرجع بالقارئ قليلاً الى ما قبل وفاة نبوليون اي الى سنة ١٨١٤ التي تنزل فيها نبوليون عن عرشه في المرة الاولى فوضعت حكومة باريس يومئذٍ يدها على املاكه ومقتنياته . وفي ذلك الوقت عينه وضعت زوجته ماري لويز يدها على مبلغ من المال كان قد اودعه في اورليان ويبلغ ٢٩٣٣٦٠٠ فرنك . وهذه الحادثة مدونة في مذكرات البارون دي مينفال كاتم اسرار الامبراطورة الخاص في ذلك العهد . والمذكرات هي في جملة السجلات التي عثر عليها الدكتور ارنست المؤرخ النمسوي الخاصة باسرة هابسبرج

بعد ان وضعت الامبراطورة يدها على المال المذكور ارسلت الى نبوليون مئة وعشرين الف فرنك . ويظهر ان نبوليون عاد فطلب منها وهو في جزيرة «البا» ان تبعث اليه بالف الف فرنك فأصمت اذنيها عن سماع طلبه . وأسرعت فذهبت الى النمسا وهي تحمل من امواله الخاصة ما يزيد على مليوني فرنك (نحو مليون جنيه وستمائة الف جنيه بعملة هذه الايام) ولم تقدم اليه حساباً عن هذا المبلغ فيما بعد . وما كانت تخشى ان يحاسبها عنه لانها كانت تستعز بسلطة ابيها وجاهه

(١٨) الامبراطورة الخائنة

ولو ان ماري لويز رعت عهد الامانة لزوجها لاصبحت فيما بعد من اشهر نساء التاريخ ولكن ما عسى ان تصنع امرأة مثلها ضعيفة العقل كثيرة الكبر سريعة الانقياد للشهوات . وقد كان في وسعها لو شاءت — وهي ابنة اقوى الملوك في ذلك العصر — ان تغير تاريخ

العالم وتأمر وتنهى كما تشاء. ولكن قواها العقلية كانت منخفضة الى الدرك الاسفل. فما عاد نبوليون من منفاه بجزيرة البا كان اول ما فعلته انها اتجهت الى اعدائه وانكرت انه زوجها الشرعي وساعدها ابوها الامبراطور والوزير مترنيخ في ذلك وادعيا بان نبوليون قد اصبح طريداً ومن كان طريداً فلا يحق له ان يكون زوجاً ووالداً. وذهبا الى ابعد من ذلك فافتيا بان ماري لويز لم تكن قط زوجة نبوليون الشرعية بحجة ان طلاقه من جوزيفين لم يكن على الوجه القانوني. قيل انه لما سمعت ام نبوليون ذلك صاحت: « اذن لقد أعطى امبراطور النمسا ابنته محظية لابني ! ... »

على ان ذلك ما كان ليزعج الامبراطور فرنسوى الثاني ولا وزيره البرنس مترنيخ. واراد هذا ان يلهي ماري لويز عن التفكير في زوجها فعين لها الكونت نيبرج النمسوي « رفيق شرف » وقد اراد في الحقيقة ان يوقعها في شرك الغرام اذ كان الكونت شاباً جميل الخلقة تتمنى كل اميرة ان تكون زوجة له. ونجح البرنس في حيلته فما كادت ماري لويز تعاشر الكونت نيبرج قليلاً حتى اصبحت اسيرة حبه. فنسيت زوجها وولدها وقالت من بعدي الطوفان

ولا يخفى انه لما اقتسمت الدول املاك نبوليون بعد معركة واترلو منحت الامبراطورة ماري لويز دوقيات بارما وبياتشنزا وجواستالا (من ولايات ايطاليا في الوقت الحاضر) فتركت ماري لويز ابنها في شونبرن وذهبت هي وعشيقها (الكونت نيبرج) لبقيا بارما وينعما بغرامهما وكان نبوليون لا يزال حيًّا فما بلغته اخبار خيانة زوجه عجائب كل شيء من اجل ولده وظل يراسل ماري لويز بانتظام. ومع ذلك لم تكن تجيبه عن رسائله. وكان يتشوق وهو في جزيرة القديسة هيلانة الى سماع اخبارها واخبار ولده. ولكن كانت لاهية عنه بعشيقها الكونت. واذا كان سلوكها كذلك وزوجها لا يزال على قيد الحياة فليس من المنطقي ان ترتدع بعد وفاته وفي مجالات ما يبرح مجالس سرداء تدل على عظم خيانتها. ويظهر انه بعد وصول خبر نبوليون بثمان واربعين ساعة ارسل البرنس مترنيخ الرسالة الآتية الى البرنس باول استرهازي (سفير النمسا في لندن) بتاريخ ١٦ يوليو سنة ١٨٢١ واليك ترجمتها:

(١٩) البحث عن وصية نبوليون

« تلقينا نبأ وفاة نبوليون بالامس عن طريق باريس. ولا شك ان وفاته هي خاتمة آمال كاذبة ودسائس خائنة...

« ويكاد يكون من المسلم به ان نبوليون ترك وصية وانه سوف يؤتى بها الى انجلترا. ويحسب على ان اصدق ان نبوليون لم يتناول بوصيته هذه امورا سوف يشجع انصاره حولها الدسائس وصنوف المكر والخداع. فعلى الحكومة البريطانية ان ترقب هذه المسألة بكل اهتمام. ولما في حكمتها التامة بانها لن تأذن في نشر الوصية في الصحف قبلا تدور حولها صفحة ثمن في غنى عنها في الوقت الحاضر

« وليس ذلك فقط بل ان الحكمة تقضي بمنع نشر اي منحق او ذيل للوصية ولا سيما ما يتعلق منها بدوقة بارما (ماري لويز) وولدها الدوق رشتاد. فاطلب اليك ايها البرنس العزيز ان توجه عنايتك الى هذه الامور وان تبحث فيها مع اللورد لوندندري (وزير الخارجية البريطانية في ذلك العهد. وكان خصومه يعيرونه بانه آلة في يد البرنس مترنيخ)

وأجاب البرنس أسترهازي عن رسالة مترنيخ هذه برسالة بعث بها اليه من لندن في ١٤ يوليه سنة ١٨٢١ واليك ترجمتها :—

« منذ تشرفت بارسال بيان الماركيز دي مونتشو الى سموكم وفيه خبر وفاة نابوليون تلقت الحكومة البريطانية رسائل اخرى مفصلة لاشك انها تكون لها شأن خاص في نظر سموكم . واني مدين للورد باثرست (وزير المستعمرات البريطاني في ذلك العهد) بجميع الانباء المفيدة التي اتشرف ببسطها لسموكم برسالتي هذه

« وقد لفت هذا الوزير نظري الى امرين (اولهما) طلب نابوليون ان يرسل قلبه بعد وفاته الى الارشيدوقة ماري لويز وعهدته الى ابنه وقد وافق الوزير على سلوك السر هدسن لو في هذا الشأن(١) واتفهمني انه اذا امكن الابقاء الى الارشيدوقة لتصرح علناً بانها تريد احترام جثمان نابوليون وعدم نقل اي عضو منه من قبره امكن تلافي اللوم الذي قد يوجهه العالم الينا بسبب عدم احترام وصية الميت وفي هذه الحالة يجب الاحتياط لمنع كل سعي يقوم به انصار نابوليون في فرنسا لسرقة جثمانه والفرار به الى باريس

« اما الامر (الثاني) الذي لفت الوزير باثرست نظري اليه فخاص بالوصية التي لا بد ان يكون نابوليون قد اودعها في موضع امان . والمورد باثرست عالم تمام العلم بوجود هذه الوصية ولكنه لا يعلم اين هي . . . وقد قال لي ان شخصاً لا يستطيع ان يبوح باسمه قال له انه اذا كانت الحكومة البريطانية تضمن له جزءاً من ثروة نابوليون فانه يطلعها على المكان الذي هي مودعة فيه . وتبلغ الثروة لا تقل عن مائة الف جنيه استرليني . والارجح ان نابوليون اوصى بها لابنه الا جانباً منها يقال انه اوصى به لامبراطور النمسا نفسه . وقد طلب الي المورد باثرست ان انقل اليكم هذه النقطة وان اضيف اليها انه لا يعلق عليها شأناً كبيراً وانه افهم ذلك الشخص ان الحكومة البريطانية لا تعرض لثروة نابوليون

(٢٠) البحث بوصية نابوليون

ولا بدَّ لنا من القول هنا ان نابوليون كان في ابان سطوته أغنى رجل في أوربا . ولكنهُ لما توفي كان الاعتقاد السائد انهُ لم يترك شيئاً من المال . ومع ذلك ظهرت في أوربا بوسائر اشاعات مختلفة مؤداها ان نابوليون ترك ثروة كبيرة قد أودعها في مخابئ لا يطلع بها إلاَّ منفذو وصيته الثلاثة وهم برتران وموتولون ومارشان . وقد رافقوهُ جميعاً في منفاهُ بجزيرة القديسة هيلانة . وكانت مقتضيات السياسة توجب على مترنيخ ان يعتقد ولو في الظاهر ان الثروة التي تركها نابوليون لم تكن تستحق الذكر . ولم يكن الجزء المالي من وصية نابوليون هو الذي يهم الدول بل الجزء السياسي

واليك ترجمة رسالة بعث بها برتران (أحد منفذي وصية نابوليون) الى ماري لويز من لندن في ١٦ أغسطس سنة ١٨٢١ :—

« مولاتي . تعلمين عظم الخسارة التي منينا بها بوفاة مولانا زوجك العظيم وقد كان من واجبي المؤلم ان انهيه الى جلالتك

(١) امر السر هدسن لو بدفن كلا قلب نابوليون ومعدته في جزيرة القديسة هيلانه

« كان رحمه الله حتى الدقيقة الاخيرة من حياته يفكر فيك ولا يطربه الا الحديث عنك . وقد عهد الى جلالتك في العناية بولده . ولا شك انك ستحترمين بداءة الام المحبة

وكان الامبراطور قد اوصى بان يرسل قلبه بعد موته اليك . ولكنا ارضنا على دفن بقاياه كلها في الجزيرة . وانه ليسوءني وايم الحق ان اجدد احزان جلالتك برواية هذه الاخبار المؤلمة . ولكن لا يسعني الا ان أؤدي امانة سيدي الراحل . وقد اوصاني كما اوصى مونتولون بان نضع انفسنا رهن اوامرك . عسى ان تأذني لنا في المثول امامك امرض واجب الخضوع والاحترام . . . »

ولم يتلق برتران جواباً عن هذه الرسالة . فقد كانت ماري لويز سكرى بحبها الغرام تقضي كل أوقاتها مع عشيقها الكونت نيبرج . واليك ترجمة رسالة بعث بها هذا الى البرنس مترنيخ في ٣ أغسطس سنة ١٨٢١ أي بعد وفاة نبوليون بقليل : —

« كلفتني جلالة الارشيدوقة ان أؤكد لسموكم انها ستعمل بكل ما تشيرون به عليها فيما يتعلق بوصية المتوفى (نبوليون) الخاصة بقلبه وممتلكاته . وقد دفنا بامر الحكومة الانجليزية مع سائر بقاياه في قبره جزيرة القديسة هيلانة . واذا فتحتها الحكومة الانجليزية بتحريض بعض الوزراء في هذا الامر فلا انها لن تبرم امراً قبل ان تقف على رأي سموكم ورأي جلالة والدها الامبراطور

« وقد امرتني ايضاً بان اعرب لسموكم عن رغبتها في احترام بقايا المتوفى وعدم مس القبر لاي غرض كان . وهي في هذا توافق على الرأي الذي اعرب عنه وزير مستعمرات انجلترا

« كذلك كلفتني ان اعرب عن خالص شكرها لسموكم من اجل المساعي التي تبذلونها للتغلب على وصية المتوفى ومن اجل القرار الذي وضعتموه في مصلحة ولدها المحبوب سمو الدوق دي رشتاد وهو القرار الذي وافق عليه جلالة والدها الامبراطور والخاص بمسألة الوراثة . . .

« ولا تعتقد جلالتها ان الحكومة الانجليزية تجهل وصية نبوليون او محتوياتها او المبالغ التي لا بد ان يكون المتوفى قد اودعها في احد بنوك لندن . . . وتخيل اليها انه نظراً الى دقة المراقبة التي كان انسر هدسن لو قد وضعها حول نبوليون يكاد يتعذر خروج الوصية من الجزيرة ووصولها الى

[illegible]

لان زيارة كهذه تؤلمنا وتزعجنا . وقد [illegible] في هذا من اعباء سموكم بان عقد اجتماع [illegible] واستأذنوا في المثول على جلالتها ويسرني ان اقول انها تمكنت بتهيه من النجاء من اجتناب مقابلتهم من دون اجحاف بمصلحة احد . وقد عزمت ان لا تجيب عن اي رسالة يوجهها اليها احد من اهل المتوفى سواء اكان للتعزية ام لاي غرض آخر . واذا اذن في نقل قلب الامبراطور المتوفى الى هنا فستصبح بؤرة مكبة للزائرين من جميع الانحاء »

(٢١) مترنيخ يواصل مساعيه

ولما وثق مترنيخ بانقياد ماري لويز وخضوعها لهُ — وكان ابنها ايضاً دمية يديه وقد سجنهُ في قصر شونبرن — أخذ يبذل مساعي جديدة للحصول على وصية نبوليون . فبث الرسل في لندن وباريس وزوّدهم بجميع الاموال التي كان يرجو أن توصلهم الى الوصية لانها كانت سلاحاً خطراً يد انصار نبوليون . وكان مترنيخ يعتقد ان اللورد هولند الذي

كان من أقوى أنصار نبوليون في انجلترا يلم بالوصية أو بمكانها ومن المحتمل ان « لاس كاز » — أحد حاشية نبوليون — جاء بها من جزيرة القديسة هيلانة في سنة ١٨١٧ وفي هذه الحالة لا بدّ أن يكون « لاس كاز » قد أوصلها الى البرنس أوجين الذي كان نبوليون قد تبنّاه لما كان في فرنكفورت . ومن المحتمل أيضاً أن يكون الدكتور أومیارا الذي كان طبيباً لنبوليون في الجزيرة هو الذي أوصل الوصية الى انجلترا . وفي هذه الحالة من المحتمل أن يكون لدى الحكومة الانجليزية علم بكل ذلك

وفي ٢ اكتوبر سنة ١٨٢١ بعث مترنيخ الى امتر هازي بالرسالة الآتية وهي : —

« ارجو ان تنجحوا على الحكومة البريطانية لتحكم بكل مساعدة للظفر على الوصية . ولعلكم تتمكنون هذه الفرصة لتفهموا الحكومة البريطانية اننا نعلق شأناً كبيراً على معرفة السبب الذي يحمل منفذي الوصية على كتمانها وابقائها طي الخفاء . واني اعزو عملهم هذا الى غاية سياسية واعتقد انهم يترقبون الفرص السانحة لاعلان الوصية

« ومن الطبيعي ان يوجه انصار نبوليون ومريدوه انظارهم الى ابنه وان ينضووا تحت لوائه وهم كثيرون وذوي قوة لا يستهان بها . ولا شك ان زعماء الحزب النبوليوني مقتنعون بان اسرة بوربون لا تستطيع الجلوس على عرش فرنسا وان دارها ستسقط بوفاة لويس الثامن عشر . فبين المتوقع اذن متى مات لويس الثامن عشر ان يبذل انصار نبوليون منتهى جهدهم لاجلاس ابنه على العرش

« وفي هذه الحالة قد يغايث القوم بنشر وصية نبوليون لاثبات حق ابنه في العرش . ولذلك ارى من مصلحة جميع الدول ولا سيما من مصلحة النمسا وانجلترا وفرنسا ان تبذل كل ما في الوسع لمنع نشر الوصية ولتلافي ما لا بد ان يكون في نشرها من الضرر . وهذا يوجب علينا مضاعفة الجهد في مراقبة الحوادث

(٢٢) اين كانت الوصية

واخيراً بدأت انباء الوصية تصل الى مترنيخ من لندن وباريس . ففي لندن اثبت موتتولون (أحد منفذي الوصية) للقنصل الفرنسوي انهُ يعلم اين توجد الوصية وانهُ لن يحجم عن اعلان بعض موادها التي تتفق مع المصلحة . اما الوصية كلها فقد تدعو المصلحة الى ارجاء اعلانها حتى يبلغ الدوق دي رشتاد السادسة عشرة من عمره

وفي الوقت عينه شرع منفذو الوصية بباريس في اقامة الدعوى على احتجاب مصرف « لافيت » لان نبوليون كان قد اودع عنده مبلغ ٣٩٤٨٠٠٠ فرنك قبل مغادرته باريس . واذ كان المنفذون يخشون اذاعة مواد الوصية السياسية في اثناء النظر في تلك الدعوى ، اعطوا الحكومة الفرنسوية نسخة من الوصية كلها للانتفاع بالجزء اللازم منها للفصل في الدعوى . واتضح اخيراً أن منفذي الوصية جاءوا بها الى لندن واودعوها عند محام يدعى فوكس . فتمكن وكلاء مترنيخ من الحصول على نسخة كاملة منها قد فيها الورق والخط والامضاء تقليداً دقيقاً . ولا تزال هذه النسخة المقلدة موجودة بين سجلات هابسبرغ بفينا وعليها

امضاء نبوليون مقدماً وامضاءات منفذي الوصية والشعار الامبراطوري مختوماً بالشمع الاحمر

اما نص الوصية فوقف من اربع مواد يليها ذيل وحواش واليك ترجمة المواد الاربع: —

وصية الامبراطور نبوليون

هذه وصيتي الاخيرة كتبتها في الخامس عشر من شهر ابريل سنة ١٨٢١ بمنزل لونجوود بجزيرة القديسة هيلانة

(اولاً) اموت على الدين الكاثوليكي الذي ولدت فيه منذ اكثر من خمسين عاماً

(ثانياً) اريد ان تنقل بقاياي لتدفن على ضفاف نهر السين في وسط الشعب الفرنسوي الذي احببته حبًّا جمًّا

(ثالثاً) لقد احببت دائماً زوجتي ماري لويز واخلصت في حبي لها وسأحبها حتى آخر دقيقة من حياتي. والتمس منها ان تعتني بولدي وتحرسه من الدسائس المحدقة به في حداثته

(رابعاً) أوصي ابني بأن لا ينسى انهُ امير فرنسوي وان لا يجعل نفسه آلة في يد الثلاثة المسيطرين على شعوب اوربا المستبدين بهم. واوصيه ايضاً بان لا يشهر سلاحاً على فرنسا ولا يسيء اليها بشيء وان يتخذ لنفسه شعاري وهو: كل شيء لاجل الشعب الفرنسوي

هذا هو نص مواد الوصية الاربع. اما الذيل فقد اوصى فيه لابنه ببعض الاشياء المحفوفة بالذكريات على ان يسلمها اليه منفذو الوصية عند بلوغه السادسة عشرة. واذ كان نبوليون يعلم ان ابنه لن يكون في حاجة الى المال اوصى باتفاق معظم ماله فيما يزيد انصار ابنه ومريديه. وكان ذلك المال مجموعة ما اقتصده في خلال اربع عشرة سنة وثمن ما كان يقتنيه من قصور واملاك ورياش واسعة. وقد بلغ مجموع ذلك عند وفاته — على ما في سجلات آل هابسبرغ — ٣٣٧ و ١٦١ و ١٤٣ فرنكا على وجه التدقيق

واوصى نبوليون بنصف هذا المبلغ للضباط والجنود الذين رافقوه في غزواته. وبالنصف الآخر لمساعدة بعض المدن والقرى التي اصيبت باضرار في اثناء بعض غزواته. ولا شك ان غرضهُ من ايصائه بأمواله على هذا الوجه انما كان جمع الانصار حول ابنه والايضواء تحت لوائه

وكان لنبوليون مبلغ من المال لا ينازعهُ عليه أحد وهو تسعة ملايين فرنك وثمانمائة وثمانية وعشرون الفاً من الفرنكات قد أودع منها مبلغ ٣٫٩٤٨٫٠٠٠ في مصرف «لافيت» كما سبق القول. وأخذت زوجه ماري لويز مبلغ مليوني فرنك معها عند تنزله عن العرش في المرة الاولى. وكان لهُ على الحكومة الايطالية مبلغ ثلاثة ملايين فرنك. وعلى خزينة الحكومة الفرنسوية مبلغ ٨٨٠٫٠٠٠ فرنك ومجموع ذلك كله ٩٫٨٢٨٫٠٠٠ فرنك

ولم يكن متريخ يعنى بالجزء المالي من الوصية قدر عنايته بالجزء السياسي منها. على

ان الارتباط بين الجزيرتين كان وثيقاً . وكان في وسع مترنيخ أن يحول دون الاستيلاء على الاموال المطلوبة من ايطاليا ومن ماري لويز . ولم يكن يشك في ان الحكومة الفرنسوية سترفض تسديد الدين الذي على خزينتها . واليك ما كتبهُ الكونت نيبرج الى البرنس مترنيخ بشأن المال المطلوب من ماري لويز . والكتاب مرسل من بارما في ٢٩ مارس سنة ١٨٢٢ :—

« ان جلالة الارشيدوقة لا ترى من الكرامة ان يطلب منها حساب عن مثل هذا المبلغ التافه . وهو لم يكن من مال زوجها المتوفى وليس لاحد الا لابنها حق سؤالها عن الوجوه التي انفقت فيها ذلك المبلغ وقد انفقته على نفسها وعليه بكل ما يمكن من الاقتصاد »

***

وبناء عليه لم يبق سوى المال المودع في مصرف «لافيت» بعيداً عن سلطة مترنيخ . وكان ذلك المبلغ كما سبق القول ٣،٩٤٨،٠٠٠ فرنك . وكان من الممكن اقامة الدعوى في المحاكم الفرنسوية لالغاء الوصية وتحويل نصف المبلغ المذكور الى الدوق دي رشتاد ولكن كان لابدّ لذلك من خوض غمار دعوى قانونية قد تستنزف قوًى وأموالاً لايعلم بها إلا الله

وقد احتفظ مارشان احد منفذي وصية نبوليون بالاشياء التي اوصى بها لابنه دوق دي رشتاد حتى ١٨٢٧ اذ بلغ الدوق السادسة عشرة من عمره فاستأذن في السفر الى فينا لتسليم تلك الاشياء اليه . وكان هذا في الواقع سجيناً في قصر شونبرن يقتله الملل . ولم يؤذن لمارشان في السفر لمقابلته ولكن اوعز اليه ان يسلم الامانة التي معهُ الى الكونت ابوني سفير النمسا باريس . ولكن مارشان ابى ان يفعل ذلك وانتظر خمس سنوات اخرى حتى بلغ الدوق الحادية والعشرين من عمره ، واذ ذاك كتب اليه الرسالة الآتية وهي :

يا سمو الامير : « مرت عدة سنوات وأنا أحاول في خلالها أن أوصل الى سموك الامبراطوري بعض الاشياء التي عهد فيها الي والدك الامبراطور نبوليون في دقائقه الاخيرة بجزيرة القديسة هيلانة »

« ولما كنت مقتنعاً بأن سموك ترغب في الحصول على هذه الاشياء التذكارية وقد حيل دون وصولي اليك رأيت أن أخاطبك رأساً والتمس منك أن تأمرني بما تشاء في هذا الصدد وقد كانت آخر أماني سيدي الامبراطور أن أتشرف بانيل أنامل سموك لاسلم اليك الاشياء المعهود فيها الي »

هذه كانت رسالة مارشان الى ابن نبوليون . ولكن الامير كان يومئذٍ يعاني آلام داء السل وهو سجين في قصر شونبرن . ولم يطل به الامر كثيراً اذ توفي بذلك الداء الوخيم وهرعت امه لرؤيته في دقائق احتضاره . وما كاد يسلم الروح حتى اسرعت عائدة الى بارما حيث كان عشيقها في انتظارها . ولم تنتظر حتى تحضر جنازة ابنها (انتهى)